الفصل الثامن

نهضة الزراعه فى انجلـــترا

- الثورة الصناعيه
- اختراع الات الغزل
- اختراع الات النسيج
- اختراع الالات البخاريه
- تقدم الزراعه المعرنيه
- اسباب قيام المصانع
- النتائج المباشره لنظام المصانع
- النتائج غير المباشره للثوره الصناعيه و
- نتائج اجتماعيه
- نتائج اقتصاديه
- نتائج سياسية
- تطور الصناعه بعد سنه ١٨٢٥

الثورة الصناعية

كانت انجلترا أسبق دول العالم فى الثورة الصناعية ، فقد ظهرت فيها تلك الثورة فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، فى حين أنها لم تظهر فى فرنسا إلا فى الربع الأول من القرن التاسع عشر ، وفى ألمانيا فى الربع الثانى منه ، وفى بقية الدول بعد ذلك .

فوائد اسبقية انجلترا فى الصناعة :

جنت انجلترا من جراء اسبقيتها فى الصناعة فوائد عظيمة لا تقدر، ويمكن تلخيص أهمها فيما يأتى :

١- اكتسابها خبرة واسعة فى الصناعة بسبب طول ممارستها لها ، فاستطاعت ان تصل الى مرتبة عالية فيها وصارت قادرة على انتاج انواع متعددة من المصنوعات المتقنة الغالية الثمن

٢- اكتسابها ثروة طائلة بسبب الأرباح الكبيرة التى جنتها من التجارة الخارجية فى وقت كانت فيه انجلترا الدولة الصناعية الوحيدة فى العالم ، ولذا نعمت بظرف لم يسبق لدولة أن انعمت به من قبل ، ولا ينتظر ان تنعم به دولة فى المستقبل ، اى خلو الأسواق من المنافسة وتعطشها لاستهلاك الخرب العالمية الاولى أعظم الدول الدائنة فى العالم ، وكانت لندن اكبر الأسواق المالية والتجارية.

٣- اكتساب مصنوعاتها سمعة حسنة نظراً لكثرة رواجها وطول تعود المستهلكين على شرائها ، حتى كان مجرد وصف الأقمشة بكونها انجليزية معناه أنها جيدة . ولا ريب فى أن لحسن السمعة اهمية تجارية كبيرة ، ولذا تحاول المصنوعات الجديدة والمخال التجارية الخديثة أن تحصل عليها بصرف الأموال الطائلة فى الاعلان، وتحمل التضخيات

والمجهـــودات الجســـيمة لمرضـــاه المشـــترين واجتـــذابهم، فـى حـين أن انجلتـرا خصـلت علـى تلـك السـمعة العالميـة دون مشـقة أو مجهود كبير ، وبمجرد اسبقيتها فى الصناعة.

أسباب اسبقيتها فى الصناعة :

لقد بينا فيما سبق ان انجلترا فى القرن الثامن عشر كانت أسعد خظاً واكثر رخاء من فرنسا والمانيا وغيرها من الدول الاوربية ، ولذا كانت اكثر استعداداً لقيام الثورة الصناعية فيها من تلك الدول . كما كانت اكثر منها قدرة على الاستفادة من تلك الثورة بعد ظهورها . وتتلخص أسباب أسبقية انجلترا فى الصناعة فيما يلى :

١- تجميع رؤوس الأموال فيها بسبب ممارستها للتجارة الخارجية منذ القرن السادس عشر ، ولا يخفى للاموال من الاهمية العظيمة فى انجاح المشروعات الاقتصادية او اخفائها ، وبخاصة فى مبدأ الثورة الصناعية حيث كان من اللازم تشجيع الاختراع وتسهيله مالياً ، واستثمار نتائجة علمياً . وكان انشاء بنك انجلترا سنة ١٦٩٤ عاملاً كبيراً فى تسهيل الخصول على رؤوس الاموال وتنظيم الاعمال الاقتصادية . ولقد سبق بيان بعض نتائج كثرة رؤوس الاموال فى انجلترا فى القرن الثامن عشر من خيث تحولها الى الزراعة وتكوين الملكيات الكبيرة ، ولاريب ان تلك الاموال كانت وقتئذ متحفزة لتشجيع المشروعات الصناعية الجديدة كلما توافرت الظروف الملائمة لذلك ، فى حين أن فرنسا ، وهى اكبر الدول المنافسة لانجلترا ، كانت فى خلال القرن الثامن عشر فى خالة فقر وارتباك مالى وسياسي عظيم ، بسبب كثرة مشاكلها كلها الحربية والسياسة وتعدد القيود الاقتصادية فيها.

٢- توافر الايدى العاملة ، لان ما معازت به انجلترا من الحرية السياسية والدينية وعدم التعرض للغزو منذ امد مديد ساعد على تزايد سكانها وجعلها ملجأ للعناصر المضطهدة فى اوربا ، ور سيما الفلمنكيون فى الاراضى المنخفضة ، والهيوجنو فى فرنسا . وقد امتازت تلك العناصر بنشاطها وحدة ذكائها ومهارتها الصناعية ، ولذا انشأت فى انجلترا صناعات كثيرة كالمنسوجات الحريرية والتيلية والورق والأوانى الخرفية . ولم تخل صناعة فى انجلترا من الاستفادة من تلك الزيادة القيمة فى عدد العمال ومهارتهم .

٣- حرية العمل وحسن تنظيمة بسبب ضعف النقابات الطائفية والميل إلى تركيز الصناعات فى مناطق معينة اقتصادياً للوقت والنفقات . فمنذ القرن السابع عشر اخذ كثيرون من كبار المشتغلين بالصناعات المعدنية وصناعة المشنوجات الصوفية بمبدأ المركزية فى الصناعة والتوسع فى الانتاج ، فامتلكوا المواد الخام والآلات اللازمة للصناعة، واستخدموا عدداً كبيراً من العمال تخت اشرافهم ، وكان ذلك نواة لنظام المصانع الكبيرة الذى ظهر فيما بعد .

٤- كثرة الاسواق التى تتعامل معها انجلترا وكان أغلبها فى الامبراطورية البريطانية ، لذا ضمنت انجلترا عند قيام الصناعة الحديثة فيها الحصول على الخامات اللازمة لها ، وعلى الأسواق التى تصرف فيها مصنوعاتها . وكان ذلك من اكبر العوامل المشجعة على قيام الصناعة وتقدمها ، لأن الاستهلاك شرط ضرورى للانتاج. وقد كانت انجلترا وقتئذ اكثر دولة فى العالم تمتعاً بهذه الميزة لاسيما بعد أن فقدت فرنسا اغلب املاكها فى خلال القرن الثامن عشر. ومما زاد فى أهمية

الأسواق لانجلترا ما امتازت به تلك الدولة من الخبرة الواسعة فى التجارة الخارجية، والتفوق الواضح فى الأعمال البحرية.

٥- نوع المصنوعات البريطانية ، فكان اكثرها من السلع التى تطلبها الجماهير ، وامتازت ببساطة صنعها وسهولة انتاجها بواسطة الآلات بكميات كبيرة ، وذلك بعكس المصنوعات الكمالية التى تخصصت فيها فرنسا ، والتى كان من المتعذر انتاجها او استهلاكها بكثرة . ويكفى الدلالة على ذلك ان انجلترا اشتهرت بالمنسوجات القطنية فى حين ان فرنسا اشتهرت بالمنسوجات الحريرية.

٦- أسبقية انجلترا فى الاختراع ، فان التغير العظيم الذى حدث فى وسائل الصناعة بسبب ظهور الآلات الجديدة قام على عاتق المخترعين البريطانيين الذين وضعوا اساس الثورة الصناعية فى جميع نواحيها ، وتركوا لغيرهم من المخترعين فى انجلترا وغيرها من الدول شرف متابعة العمل والبناء على ذلك الأساس . ولعل انجلترا فى الوقت الحاضر ليست اسبق من فرنسا والمانيا وامريكا فى ميدان الاختراع ، ولكنها كانت بلا ريب اسبق دول العالم قاطبة فى الاختراع فى القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر ، لما ابرزته منذ سنة ١٧٦٠ من فطاحل المخترعين مثل (هاجريفز) (اركريت) ، (كرومبتون) (كارتريت) (وات) (استيفنسن).

وعلى الرغم من صعوبة تحديد أسباب اسبقية انجلترا فى الاختراع فانه يمكن الاشارة الى العوامل الآتية:

(أ) زيادة حاجة انجلترا الى الاختراع بسبب تقدم الصناعة فيها بالنسبة اليها بقية الدول فى القرن الثامن عشر ، ومن الامثلة المشهورة أن الحاجة تفتق الحيلة (او تولد الاختراع) ، ولكن ذلك لا يتفق مع الحقيقة ، إذ كثيراً ماتكون الحاجة عاقراً ويحار عقل الانسان فى معالجتها . ولكنه مما لا مراء فيه أن الاختراع وليد الحاجة دائماً لانه لا يحدث مصادفة نظراً لكثرة ما يستلزمة من مجهود مستمر ونفقات كبيرة . ويستدل على ذلك من أن الذى حمل (جيمس وات) على توجيه عنايته لاختراع الآلة البخارية شدة الحاجة الى طلمبة بخارية تستخدم لنزح المياه من مناجم الفحم ، بعد ان اصبحت تلك المناجم عميقة الى حد جعل الطلمبات اليديوية المعروفة وقتئذ غير وافية بالغرض ، وكان شأن بقية المخترعات الهامة فى ذلك الوقت.

(ب) ميل العقلية البريطانية الى العلوم التطبيقية ، فبينما كان العلماء فى أوربا يتابعون ابحاثهم النظرية فى الضوء والحرارة والكهرباء والكيمياء ، كان المخترعون فى انجلترا يتفننون فى تطبيق مانتج عن ابخاث اولئك العلماء النظرية للاستفادة منها علمياً والدليل على ذلك ان فطاحل المخترعين فى ذلك الوقت لم يكونوا من خريجي الجامعات واساطين العلوم ، بل كان اغلبهم من طبقة الصناع ذوى الثقافة البسيطة والمعلومات المحدودة ، ولكنهم امتازوا بمواهب خاصة محدة الذكاء ، وقوة النلاخظة والصبر على متابعة البحث رغم الفشل المتكرر ، وغير ذلك من المواهب التى ضمنت لهم النجاح فى النهاية.

وكانت الاختراعات التى اخذت فى الظهور تباعاً منذ منتصف القرن الثامن عشر كالحلقات المتعددة فى سلسلة واحدة وذلك من حيث شدة ارتباطها بعذها ببعض وشملت تلك الاختراعات جميع الحياة الاقتصادية فى الدولة كالزراعة والصناعة ووسائل النقل ، ولكن عنيت بوجه خاص بصناعة المنسوجات وصناعة التعدين ، ولذا كان التقدم فى هذين الفرعين من الصناعات اظهر منه فى غيرهما فى بداية الامر.

ومن اهم ما يلفت النظر ان صناعة المنشوجات القطنية كانت اكثر الصناعات استفادة من ذلك التطور الجديد ، نظراً لحداثة عهدها فى انجلترا وسهولة تغيير الوسائل الصناعية فيها دون التعرض للضرر او الخسائر الكبيرة ، فى حين أن صناعة المنسوجات الصوفية كانت اقدم صناعات انجلترا واكبر دعامة لثروة البلاد وتجارتها ، ولذا كانت محاطة بتقاليد كثيرة عملت على مقاومة كل تغيير خوفاً من نتائجه غير الضمونة . ولهذا تقدمت صناعة المنسوجات القطنية أسلاع من تقدم صناعة المنسوجات الصوفية ، وزادت انجلترا من المنسوجات الثطنية على صادراتها من المنسوجات الصوفية لأول مرة سنة ١٨٠٢ واستمرت تلك الزيادة فى اطراد حتى اليوم .

اختراع الات الغزل:

تتطلب صناعة المنسوجات عمليتين مستقلتين ومرتبطتين فى آن واحد وهما عملية غزل القطن والصوف والكتاب على شكل خيوط طويلة، وعملية نسج تلك الخيوط بعضها فى بعض لصنع الاقمشة ، وقد كانت المشكلة الكبرى فى صناعة المنسوجات حتى منتصف القرن الثامن عشر هى شدة بطء عملية الغزل بالنسبة الى عملية النسيج ، اذ كان الناسج الواحد يستخدم كل ما ينتجه خمسة او عشرة من الغزالين . ورغبة فى علاج ذلك اعلنت "الجمعية الملكية لتشجيع الفنون والصناعات" سنة ١٧٦١ عند

استعدادها لمنح جائزتين ماليتين لمن يمنجح فى اختراع وسيلة لزيادة سرعة الغزل . ولم يمض زمن طويل حتى وفق (جيمس هارجريفز) سنة ١٧٦٤ الى اختراع آلة للغزل اشتهرت باسم (Spinning Jenny) وهى آلة بسيطة تتحرك بواسطة عجلة يدوية يسهل إدارتها ، وقادرة على غزل ثمانية خيوط قطنية فى وقت واحد . وبعد وقت قصير استطاع المخترع نفسه ان يويد عدد تلك الخيوط الى ثمانين . غير أن تلك الخيوط كانت دقيقة وضعيفة بحيث لا تصلح الا للخيوط العريضة فى النسيج ، وبقيت الخيوط الطويلة مصنوع من التيل نظراً لمتانته.

وفى سنة ١٧٧١ اخترع (رتشارد اركريت) آلة للغزل عرفت باسم الاطار المائى وامتازت بمتانة الخيوط التى غزلتها ، ولذا امكن الاستغناء لاول مرة عن الخيوط التيلية كسدى للمنسوجات القطنية ، وصارت المنسوجات تصنع كلها من الخيوط القطنية . ولهذا الاختراع اهمية عظمى فى صناعة النسيج لسببين وهما :

١- انه سمح بصناعة المنسوجات من القطم وحده ، ولذا رخصت تلك المنسوجات وزادت دقتها وعظم انتاجها .

٢- انه قضى على صناعة الغزل المنزلية نظراً لكون آلة "الاطار المائى" مؤلفة من اربع اسطوانات ثقيلة يصعب تخريكها الا بواسطة قوة المياه المتدفقة او البخار ، ولذا كان استخدامها فى المنازل متعذرا والانتفاع بها فى غير المصانع عسيراً .

وفى سنة ١٧٧٩ اخترع صموئيل كرومبتون آلته الشهيرة باسم البغلة واشتملت على كل محاسن الاختراعين السابقين ، ولذا اعتبرت تلك الآلى اساساً لآلات الغزل المستخدمة فى الوقت الحاضر التى تغزل الواحدة منها ٢.٠٠٠ خيط فى وقت واحد ، ولا تتطلب عناية كبيرة من العامل فتستطيع

الاشراف على صنع المنسوجات القطنية الدقيقة نظراً لنعومة ودقة الخيوط القطنية التى امكن للنغازل انتاجها.

وقد احدثت تلك الاختراعات الرئيسية الثلاثة تقدماً عظيماً فى صناعة المنسوجات على اختلاف انواعها ، بسبب زيادة الغزل فى مقداره وسرعته وسهولته ، وكانت اكثر الصناعات استفادة من ذلك صناعة المنسوجات القطنية ، وبخاصة بعد سنة ١٧٩٢ عندما اخترعت آلة خليج القطن ، اى تخليص الشعرة من البذور . لأن ذلك أدى الى زيادة القطن الخام زيادة عظيمة لاسيما فى الولايات المتخدة ، فتقدمت صناعة غزل الخيوط القطنية فى انجلترا تقدماً عظيماً حتى صار انتاجها لا يحده سوى مقدار الطلب عليه .

اختراع الات النسيج:

أحدث التقدم العظيم فى صناعة الغزل بفضل الاختراعات السابقة تغيراً كبيراً فى العلاقة بين الغزل والنسيج ، اذ اصبح النسيج اكثر بطءاً من الغزل وعاجزاً عن مجاراته فى كثرة الانتاج ، ولهذا اتجهت الانظار الى اصلاح آلات النسيج التى كانت حتى ذلك العهد كلها يدوية . وفى سنة ١٧٨٤ نجح قسيس يدعى (Edeard Carwright) فى اختراع أول نول متخرك بقوة المياه الجارية وفى سنة ١٧٩١ انشئ فى منشستر اول مصنع للنسيج واشتمل على اربعمائة من تلك الانوال .

غير ان فوائد ذلك الاختراع لم تظهر سريعاً ، لأن تحول صناعة الغزل وقتئذ من صناعة منزلية يدوية الى صناعة مركزية الية لم يصحبه تخول مماثل فى صناعة النسيج ، بسبب قلة موارد المياه المتدفقة وشدة تمسك صناع النسيج بسبب عدم وفاء آلات النسيج الجديدة بالحاجة من جهة

، ومن جهة أخرى بسبب قلة موارد المياه المتدفقة وشدة تمسك صناع النسيج اليدوي ببقاء تلك الصناعة المنزلية . ولم ينهزم اولئك الصناع نهائياً إلا بعد ان ادخلت على آلات النسيج اصلاحات عدة أهمها استخدام البخار فى تحريكها .

وبلغ عدد الأنوال الميكانيكية فى انجلترا واسكتلنده سنة ١٨٢٠ نحو ١٥.٠٠٠ ، فى حين أن عدد الانوال اليدوية فى صناعة القطن وحدها زاد على ٢٠.٠٠٠ ، وكان هذا الكفاح بين النسيج الآلى والنسيج اليدوي من اهم مظاهر تاريخ انجلترا الصناعى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وانتهى الى النتيجة المحتومة التى لا مفر منها ، اى القضاء على صناعة النسيج اليدوي ، وشدة سخط المشتغلين به وبؤسهم.

اختراع الالات البخارية :

كانت قوة ضغط البخار معروفة منذ القدم ، ولكن الانسان لم يفكر فى الانتفاع بها عملياً إلا فى اوائل القرن الثامن عشر . وقد تمكن (Tomas Newcomen) حوالى سنة ١٧٠٥ من اختراع طلمبة بخارية كابسة ، وفى سنة ١٧٦٣بدأ "جيمس وات" فى العمل على تحسين تلك الطلمبة وتحوير اليها بغرض استخدامها فى الأعمال الصناعية العامة وإدارة الالات الاخرى . وفى سنة ١٧٦٨ انضم الى "وات" "ناثيوبولتن" وكان أخد اغنياء رجال الصناعة فى برمنجهام . وتمكن "وات" فى العام التالى من اختراع آلته البخارية الشهيرة ، التى استطاعت بواسطة سير مرتبطة بعجلتها الجانبية أن تحرك آلات الغزل والنسيج وغيرها من الوسائل الميكانيكية المستعملة فى الصناعة . ولم يستخدم البخار فى إدارة آلات الغزل فى انجلترا إلا سنة ١٧٨٥ ، ومنذ ذلك الوقت اخذ عدد الالات البخارية فى

الزيادة حتى بلغ ١١ فى برمنجهام سنة ١٨٠٠ ، و ٢٠ فى ليذر ، و ٣٢ فى منشستر.

ولا ريب فى ان الآلة البخارية التى نجح "جيمس وات" فى اختراعها احدثت فى العالم تغيرات اقتصادية هائلة فاقت فى خطورتها وكثرتها ما احدثته اية آلة اخرى ابتكرها عقل الانسان ، وبذا تم انشاء ركن هام من اركان الثورة الصناعية القائمة على الانتاج الميكانيكي بواسطة الآلات التى يحركها البخار والقوى الطبيعية الأخرى ، وما تبع ذلك من تجمع رؤوس الأموال والأيدى العاملة الكثيرة فى مراكز الصناعة الجديدة.

تقدم الصناعات المعدنية :

ان التحسينات العديدة التى ظهرت منذ سنة ١٧٦٠ فى صناعة الغزل والنسيج تطلبت لنجاحها وانتشار فوائدها تقدماً يعادلها فى صنع الالات الجديدة بسرعة كافية واثمان معتدلة ، وكان لاسبيل الى ذلك بغير تحسين وسائل استخراج الحديد وصهره واحداث انقلاب عظيم فى الصناعات المعدنية على اختلاف انواعها . ونظراً لحاجة جميع تلك الصناعات الى الفحم بكميات متزايدة كان من اللازم تحسين صناعة التعدين ايضاً ، لكى تحصل انجلترا على حاجتها من الفحم بأثمان منخفضة.

الحديد : اشتهرت أقاليم انجلترا الشمالية والوسطى بثروتها فى الفحم والحديد غير أن وسائل استخراج هذين المعدنين ظلت عقيمة ومتأخرة ختى سنة ١٧٥٠ ، ولذا استوردت انجلترا اغلب ما احتاجت اليه من الحديد من بلاد السويد ، نظراً لعدم المامها باحسن الوسائل لصهر الحديد فى بلادها ويرجع ذلك الى ان استخدام الفحم الحجرى لهذا الغرض بسبب

تفاعلات كيماوية يصعب التغلب عليها ، يوجعل الحديد المنصهر بهذه الطريقة ردئ النوع . وقد خاولت انجلترا منذ سنة ١٧٣٥ التغلب على تلك العقبة باستخدام الفحم (الكوك) ولكن الخديد عندئذ كان سهل الكسر وقليل المرونة (حديد ظهر) .

وعندما نجح (هنرى كورت) سنة ١٧٨٣ فى اختراع وسيلة لمزج الاكسجين بالحديد المنصهر ليكسبه المرونة اللازمة ، تقدمت صناعة الحديد فى انجلترا تقدماً عظيماً ، وبخاصة بسبب الزيادة المطردة فى اثمان الخديد المستورد من السويد فى خنل القرن الثامن عشر . فزاد مقدار الحديد المستخرج من انجلترا فيما بين سنة ١٧٤٠ وسنة ١٧٨٨ من ١٧.٠٠٠ طن الى ٦٨.٠٠٠ طن ، ثم اخذت الكمية فى التزايد سريعاً ختى بلغت سنة ١٧٩٦ (١٢٥.٠٠٠طن) وسنة ١٨٠٦ (٢٥٠.٠٠٠طن) وفى سنة ١٨١٥ بلغ مقدار الحديد المصدر من انجلترا (٩١.٠٠٠ طن) ولهذا تقدمت الالات المعدنية تقدماً عظيماً منذ لذك الوقت .

الفحم : بدأ تقدم صناعة استخراج الفحم فى اواخر القرن الثامن عشر ، اى بعد اختراع الطلمبه البخارية ، لأنها سمحت بتوغل المناجم فى الطبقات البعيدة عن سطح الارض . وقد ظهر التقدم محسوساً فيما بين سنة ١٨١٠ وسنة ١٨١٩ عندما خلت الاعمدة الخشبية محل الاعمدة الفحمية السميكة التى كانت مستخدمة لرفع سقوف الطبقات الفحمية ومنعها من السقوط . وفى سنة ١٨١٥ اخترع (سير همفرى ديفى) مصباح الوقاية وبذا أمن عمال المناجم على حياتهم وامكن تعميق المناجم الى مسافات بعيدة . وفى سنة ١٨٢٠ بدأت وسائل النقل الميكانيكى فى داخل المناجم الى سطح الارض . ولهذه الاسباب زاد انتاج الفحم فى انجلترا زيادة عظيمة وانخفضت اسعاره وكثر استخدامه فى الصناعة.

نظام المصانع:

كان قيام المصانع الكبيرة اظهر النتائج المباشرة للثورة الصناعية، اذ على الرغم من ان المصانع كانت معروفة فى انجلترا منذ القرن السادس عشر ، فانها اختلفت كل الاختلاف عن المصانع التى ظهرت فيما بعد ، نظراً لصغرها وقلة انتاجها واختلاف العلاقة فيها بين العمال والآلات . ففى عصر الصناعة اليدوية كان العامل سيد الآلة لأنه استطاع تحريكها وتوجيهها كيفما اراد . اما بعد الثورة الصناعية فقد صارت الالات قادرة على الحركة السريعة من تلقاء نفسها واصبح العامل خادماً للالة واقل منها اهمية فى الانتاج ، واقتصرت مهمته على ضبط الالة وتغذيتها بالمواد اللازمة للصناعة . كما استمر الغرض من الاختراع تقليل اهمية العامل وزيادة استقلال الالة عنه ، حتى صار كثير من الالات فى الوقت الخاضر (اتوماتيكياً) بحتاً أى أنه يقوم بكل الانتاج دون تدخل الانسان .

ولاريب ان هذا التغير الكبير فى علاقة العمال بالآلات من اخطر نتائج المخترعات الحديثة ، ومن اجله تستحق الثورة الصناعية ان تلقب بهذا الاسم ، نظراً لما تفرع منه من الآثار الخطيرة التى تغلغلت فى جسم المجتمع وصارت من اهم مميزاته ، وتتلخص فيما يأتى:

١- زيادة نفوذ أصحاب الأموال المشتغلين بالصناعة ، لأنهم اصبحوا مسيطرين على اهم العناصر اللازمة للانتاج وهى المواد الخام ومبانى المصنع وآلاته والقوى المحركة فيه فى حين أن أهمية العمال كعنصر من عناصر الانتاج نقصت الى الحد الأدنى لانهم صاروا لا يملكون من عناصر الانتاج سوى اليد العاملة والمعلومات الفنية اللازمة .

ولاجرم أنهم لا يتمتعون بما لهم من الأهمية والنفوذ فى الوقت الخاضر إلا بسبب قوة اتحادهم.

٢- تحول الصناعة الى النظام الراسمالى ، لكثرة ما تطلبته من الأموال اللازمة لامتلاك الآلات والخامات والمصانع والقوى المحركة الخ . وتضمن وفرة رؤوس الأموال سرعة الانتاج الصناعى وكثرته وحسن تنظيمة وتصريفه

٣- انحطاط مستوى الصناعة من الوجهة الفنية . لأن التوسع فى استخدام الآلات واتباع مبدأ تقسيم العمل جعل نصيب العامل فى الانتاج ضئيلاً ومملا ، ولم يترك له مجالاً لاظهار مواهبه الفنية.

٤- احتدام الخلاف بين العمال واصحاب العمل ، نظراً لانقطاع الصلة المباشرة والعداء بدلاً من التعاون لخدمة المصلحة المشتركة ، واصبح العمال يعنون بتقليل الانتاج وانقاص ساعات العمل وزيادة الأجور ، فى حين يعنى اصحاب العمل بعكس ذلك تماماً لكى تزيد ارباحهم.

أسباب قيام المصانع :

لم تكن المصانع الكبيرة التى يحتشد فيها العمال وتكثر الآلات وتتوحد الادارة فيها من النتائج المقصودة لحركة الاختراع وتحسين وسائل الصناعة التى ظهرت منذ منتصف القرن الثالث عشر ، بل كانت من النتائج الطبيعية غير المنظورة ، لأن كبر حجم الالات الجديدة وغلاء ثمنها جعل اقتنائها او استخدامها فى المنازل فوق مقداره الأفراد العاديين ، وصار الاغنياء وحدهم قادرين على شرائها وبناء الأمكنة الخاصة بها وهى المصانع

، واذا اضفنا الى ذلك ان تلك الآلات كانت سريعة الانتاج وغزيرته ظهرت لنا ضرورة استخدام عدد كبير من العمال لادراتها وتهسيل مهمة انتاجها.

وكذلك أدى استخدام القوى الطبيعية كالبخار والمياه المتدفقة فى تحريك تلك الآلات الى تعذر قيام المصانع فى كل مكان ، بسبب اهمية توافر الفحم الرخيص الثمن او المنخدرات المائية بالقرب منها . ولهذا تركزت الصناعات الجديدة فى المناطق الجبلية او فى حقول الفحم الكبيرة، بعد أن كانت الصناعات القديمة منتشرة فى اغلب الأقاليم الريفية ، ومما زاد فى ذلك التركز ان القوى المحركة اذا توافرت فى مكان ما كانت كافية لتحريك عدة آلات فى وقت واحد ،ولذا قضت المصلحة بتعدد الآلات فى المصنع الواحد بقرب المصانع وكثرتها فى المنطقة الواحدة.

ولهذه الاسباب اضطر الصانع القروى الذى تعود الاشتغال فى منزلة ولحسابه الخاص الى هجر عمله والانتقال الى المدن الصناعية الجديدة ، حيث انضم الى جيش كبير من امثاله ، واصبح عاملاً اجيراً يشتغل ساعات معينه فى مصنع تتوفر فيه الالات والقوى المحركة اللازمة لها ، ويخضع فيه كغيرة لادارة واحدة ، وبذا تحولت وحدة الانتاج فى انجلترا فى القرن التاسع عشر من الاسرة او العدد القليل من العمال الذين استخدموا من الالات قليلها ورخيصها ، واستهلكوا مقداراً ضئيلاً من المواد الخام ، الى المصنع الكبير الذى اشتعل فيه مئات العمال بل آلافهم ، وتعانوا على الانتاج الوفير بواسطة الات كبيرة الحجم ومعقدة التركيب وغالية الثمن ، واستهلكوا فى سبيل ذلك مقادير عظيمة من الوقود والخامات ، على ان الصناعة اليدوية لم تندثر تماماً بازاء منافسة الصناعة الآلية الجديدة ، فانها مازالت قائمة فى جميع الدول حتى انجلترا نفسها.

النتائج المباشرة لنظام المصانع :

كانت النتائج الأولى للثورة الصناعية سيئة فى مجموعها، لان استخدام الالات الجديدة وقيام المصانع الكبيرة لم يكن انقلاباً اقتصاديا فحسب ، بل كان انقلاباً اجتماعياً ايضاً ، ولم تنج من اثاره الوخيمة طبقة من طبقات المجتمع .

اختلال الصناعة: ان طبقة العمال الريفيين التى مارست الصناعة المنزلية كانت اكثر الطبقات شعوراً بسوء الحالة ، واعلاها صوتاً بالشكوى من المخترعات الجديدة ، فان كل اختراع جديد فى صناعة معينة كان سببا فى احداث تغيير عظيم فى تلك الصناعة ، ودفع بأغلب المشتغلين بها الى البطالة ثم الى البحث الخثيث عن مواد اخرى للرزق . وعلى الرغم من ان الالات الجديدة وسعت فى النهاية سبل العيش امام طبقة العمال ، جعلت المشتغلين بالصناعة فى اخر القرن الماضى اكثر عدداً واسعد خالا مما كانوا فى اوله ، الا أن العمال احتملوا الوان العذاب عندما ظهرت المخترعات تباعاً ، وكان ذلك امراً طبيعياً ونتيجة لازمة لحالة الانقلاب فى جميع مظاهره.

ومما يشهد بصدق ذلك ان المخترعين كانوا محل مقت الجمهور واضطهاده ، وكثيراً ماهمشت آلاتهم الجديدة على اعتبار انها مضرة بالمجتمع ، فلحق (هارجريفز) كثير من الاهانة والضرب من الجمهور الغاضب ، حتى اضطر الى الرحيل عن موطنه فى لانكشير ليتمكن من انشاء آلته الجديدة للغزل ، وفى سنة ١٧٧٩ قامت فى لانكشير وفى كثير من مناطق الصناعة المجاورة لها مظاهرات شعبية كبيرة انتهت بتحطيم عدد كبير من الآلات الجديدة ، غير أن وسائل العنف كانت عاجزة عن إيقاف تحول الصناعة من النظام اليدوي الى النظام الآلى ، فاضطر العمال فى

النهاية الى الرضوخ للفضاء الذى حل بهم ، والعمل على تهيئة حياتهم وموارد رزقهم بطريقة تتفق مع الظروف المتغيرة.

كثرة المهاجرة الداخلية : زاد فى متاعب المشتغلين بالصناعات اليدوية الريفية ماحدث من الانقلاب الزراعى فى انجلترا بعد منتصف القرن الثامن عشر ، إذ أن المزارع الصغير الذى اشتغل بالصناعة المنزلية رغبة فى زيادة الرزق صار معرضاً لأزمتين شديدتين فى وقت واحد : أزمة الزراعة بسبب شدة منافسة المالك الكبير ، وازمة الصناعة بسبب شدة المنافسة الالان الجديدة . ولذا كان مضطراً اما الى التخلى عما ورثة عن ابائه من وفرة نسبية فى العيش واستقلال فى العمل ثم الرحيل الى المدن الصناعية ليشتغل فيها كعامل اجير ، او الى البقاء فى الريف كعامل زراعى خقير ، وكان من حسن حظه ان سبل العمل فى المدن أخذت فى الاتساع فى نفس الوقت الذى كانت فيه مواد الرزق للمزارع الصغير آخذه فى الضيق والنفصان ، ومع ذلك فانه تعرض لمتاعب جمة بسبب تدفق سيل المهاجرة من الريف الى المدن الصناعية الجديدة ، اذ كان الازدياد المطرد فى عدد سكان تلك المدن اسرع واعظم من مقدرة تلك المدن على اختمالهم وايوائهم.

ونتج عن تحول اكثرية السكان فى انجلترا من الاقاليم الزراعية الواقعة فى الجنوب والشرق الى الاقاليم الجبلية (والغنية فى الفحم والحديد) الواقعة فى الشمال والشمال الغربى ان انتقل العامل فى انجلترا تبعاً لانتقال اغلبية السكان واختل التوازن بين اهمية الاقاليم فبعد ان كانت الاقاليم الجنوبية والشرقية مركز للثقافة والثروة والنفوذ فى حياة الدولة فى كل عصور التاريخ السابقة ، اخذت فى اضمحلال تدريجياً حتى صارت انجلترا وقوتها فى الوقت الحاضر معتمدة على المدن الصناعية الواقعة

فـى الشـمال الغربـى ، مـع ان تلـك المـدن لـم تكـن شـيئاً مـذكوراً منـذ نحو ١٠٠ سنة.

سـوء حالـة العمـال : أدت كثرة مهاجرة سكان الريف الى المدن وشدة اقبالهم على العمل فى المصانع الى قيام كثير من المشاكل التى تعانى انجلترا بعضها حتى اليوم ، واهمها مشكلة المساكن ، وارهاق العمال بسبب قلة اجورهم وطول ساعات عملهم ، واضمحلال مستوى الصحة العامة والاخلاق العامة . وقد نجحت انجلترا فى معالجة اغلب المشاكل بفضل قوة اتحاد العمال التى ظهرت بعد منتصف القرن التاسع عشر وهو الاتحاد الذى رمى قبل كل شئ الى ازالة الغبن الذى لحق بالعمال والمصائب الكبيرة التى خاقت بهم فى بدء الثورة الصناعية .

مشـكلة المسـاكن: كانت هذه المشكلة فى طليعة المساوئ التى صارت سكان المدن الصناعية الحديثة ومن اصعبها علاجاً ، بدليل انه لا يـزال بأغلـب مـدن انجلتـرا الكبيـرة احيـاء لسـكنى الفقـراء والعمـال تسـمى وتمتـاز بضـيق طرقاتهـا ومسـاكنها ، وكثـرة قاطنيهـا ، وسـوء اضـءتهـا ، وحرمانها من كل مسحة من الجمال . ويرجع ذلك الى ان زيادة المساكن فى المدن كانت لا تتمشى مع سرعة تزايد عدد سكانها ، ولان شدة رغبة العمال فى الإقامة على مقربة من المصانع أدت العظم ازدحامهم فى تلك المناطق ، وهى بطبيعة موقعها قذرة وغير صحية ، لا سيما فى بلاد غزيرة الامطار وقليلـة التمتـع بضـوء الشـمس فـى الشـتاء كـانجلترا . وعنـدما تولـت الملكـة فكتوريا عرش انجلترا سنة ١٨٣٧ كان نحو عشر سكان تلك الحجرات مباءة للأقذار وموطناً للأمراض . واذا ذكرنا أن الاكثرية العظمى من سكان المدن الصناعية هاجرت اليها من الريف حيث كانت ناعمة بالهواء الطلق والغذاء الجيد ، وقاطنـه فـى مسـاكن صـحية ، وام كانـت فقيـرة وصـغيرة . امكننـا أن

نتصور مبلغ الالام التى احتملها اولئك السكان بسبب خرمانهم من تلك النعم.

إرهـاق العمـال : كان انخفاض اجور العمال وطول ساعات عملهم من النتائج الطبيعية لشدة تنافسهم على العمل وعدم تنظيم صفوفهم وللسيطرة العظيمة التى تمتع بها أصحاب الأعمال ، ولمحاولتهم استغلال ذلك الظرف وزيادة مكاسبهم بكل وسيلة ، ولاريب فى ان الجشع والأنانية فى ابشع صورهما كانا وخدهما رائد العدد الكبير من اصحاب الاعمال فى ذلك الوقت ، ولم يكن لرعاية مصالح العمال ولابسط العواطف الانسانية محل كبير من الاعتبار عندهم ، ولذلك انخفضت الاجور الى الحضيض ، وكادت لا تكفى للوفاء بأمس حاجات المعيشة ، كما بغلت ساعات العمل من خمس عشرة الى ثمان عشرة ساعة فى اليوم الواحد.

ومما زاد فى متاعب العمال وفى ارهاقهم انهم كانوا معرضين لمنافسة النساء والاطفال لهم فى العمل ، نظراً لان الآلات الجديدة لم تكن فى حاجة الى العضلات القوية او المهارة الفنية الكبيرة . وكان اصحاب الاعمال يفضلون استخدام الأطفال والنساء بسبب انخفاض اجورهم بالنسبة الى اجور الرجال ، ولذلك انعكست العلاقة بين الرجل والمرأة ، وكثيراً ماكان الرجل قابعاً فى بيته وعاجزاً عن الكسب بينما تبن زوجته واطفاله من العمل فى المصانع.

ومن الغريب ان انجلترا فى اوائل القرن التاسع عشر كانت فى طليعة الدول المطالبة بالغاء تجارة الرقيق فى العالم على اعتبار ان تلك التجارة لا تتفق مع مبادئ الرحمة والانسانية ، مع ان حياة الرقيق فى حقول القطن فى امريكا كانت افضل كثيراً من حياة اكثرية سكانها فى ذلك الوقت ،

فقد كان الرقيق ناعماً على الاقل بالهواء الطلق والغذاء الصحى وبعض الراحة والتسلية فى اوقات فراغه ، فى حين ان عمال المصانع كانوا محرومين من كل ذلك . بل ان الوسائل التى استخدمها اصحاب الأعمال للحصول على الاطفال الفقراء والايتام لتوظيفهم فى مصانعهم لم تختلف فى قسوتها عن تجارة الرقيق فى افريقيا ، وهى التجارة التى شكت انجلترا منها وقتئذ وحاولت إلغاءها.

انحطاط مستوى الصحة والاخلاق : نتج عن كل ما سبق ان الخط مستوى الصحة والاخلاق فى انجلترا انحطاطاً ظاهراً منذ قيام نظام المصانع لأن العمل المضنى فى المصانع حيث فسد الهواء ، وكثرت الضوضاء وتعرض العامل لاخطار جسمانية بليغة كان غير متفق مع جودة الصحة فى شئ ، فى حين ان اختشاد الرجال والنساء والاطفال فى المساكن الضيقة وبدون أدنى رقابة جدية عليهم كان سبباً فى فساد الاخلاق وانتشار المويقات . ولاريب فى ان الاقبال على تعاطى المسكرات لكى يتناسى الانسان مؤقتاً متعاب الحياة وكابتها كان من العوامل المشجعة على تفاقم الحالة وانتشار المنكرات والجرائم.

ويتبين من ذلك أن قيان نظام المصانع كان فى بداية الامر نكبة كبيرة على اكثرية السكان فى انجلترا ، وتعتبر نتائجه المباشرة من اسود الصفحات فى تاريخ البلاد ، ومع ذلك فانه كان فى النهاية نعمة كبيرة على انجلترا وبقية دول العالم ، اذ بعد ان تخلصت انجلترا من اكبر المساوئ الأولى لهذا النظام وعالجت عيوبه الصارخة ، اخذت فى جنى ثمرات التقدم الصناعى الكبير اذى سبقت اليه بقية الدول ، وصار العمال ناعمين بدرجة من الرقى والرفاهية والنفوذ لا مثيل لها فى اى عصر من العصور.

النتائج غير المباشرة للثورة الصناعية :

عندما خلت سنة ١٧٢٥ كانت أغلب الاختراعات الهامة قد ظهرت فى انجلترا واخذت الصناعة بعد ذلك فى التقدم بخطى واسعة ، فاستقرت فى نظامها وتخصلت تدريجياً من مساوئ الانقلاب الخطير الذى عانته منذ حوالى سنة ١٧٦٠ ، ولذلك بدأت النتائج غير المباشرة للثورة الصناعية فى الظهور تبعاً ، ومازالت فى سبيل الظهور حتى اليوم . والحق ان تلك النتائج لم تترك ماحية من نواحى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى انجلترا الا غيرتها تغييراً جوهرياً . ولذا كانت تلك النتائج اعظم واجل فى خطورتها وفى مدى تاثيرها من نتائج الثورة الفرنسية فى فرنسا .

النتائج الاجتماعية :

١- **ارتفاع مستوى المعيشة:** عرف العمال بعد تجاربهم الاليمة ألا أمل لهم فى تحسين حالهم ورفع شأنهم الا بتوحيد الكلمة فيما بينهم لمقاومة جشع أسحاب الاعمال وايتبدادهم ، ولمشاركتهم فى المكاسب العظيمة التى درتها الصناعة عليهم . وقد ساعدهم على تنفيذ اغراضهم ماحدث من الزيادة العظيمة فى عددهم ، ومن سهولة اختلاطهم وتبادل الرأى بينهم فى المصانع والمدن .

ومع ان الثورة الصناعية قلت أهمية العامل فى الانتاج وزادت فى اهمية الالات ونفوذ اصحاب الأعمال ، فانها استلزمت احتشاد العدد الكبير من العمال فى المصانع ومهدت بذلك الطريق الى تنظيم صفوفهم وزيادة اتحادهم وقوتهم . اى انه بينما نقصت أهمية العمال الفردية عظمت اهميتهم كطبقة كبيرة فى المجتمع ، فاصبحوا اقدر على

المساومة على استخدام الضغط لتحسين حالهم مما كانوا عليه فى عصر الصناعة اليدوية.

وقد نتج عن ذلك ان ارتفعت أجور العمال تدريجياً ونقصت ساعات عملهم نقصاً واضحاً ، وتخلص العمال من أنواع الارهاق والاستبداد التى خضعوا لها فى بداية الثورة الصناعية ، وذلك فضلاً عن توسع العمل أمامهم وزيادة عدد المشتغلين بالصناعة والمساهمين فى مكاسبها . ولذا زادت القوة الشرائية عند اكثرية السكان زيادة عظيمة، وفى الوقت الذى تقدمت فيه الصناعة تقدماً كبيراً واخذت فى اغراق الأسواق بسلعها المتعددة الأنواع والمتناقصة الأثمان . فلا عجب إذن أن شهد القرن التاسع عشر تقدماً لم يبسق له مثيل فى مستوى المعيشة عند عامة الشعب ، حتى اصبح الفقير ناعماً بما كان ابناء الطبقة المتوسطة بل الغنية عاجزين عن الحصول عليه فى العصور السابقة.

٢- **تقدم المدنية:** ان كلمة المدنية فى الألفاظ التى يكثر استخدامها ويصعب تعريفها وتحديد معناها ، فاذا كان المقصود بالمدينة سمو الاخلاق وانتشار الفضائل ورقى الذوق والآداب ، فمن الواضح ان العالم لم يتقدم فى هذا الميدان تقدماً محسوساً منذ بدء التاريخ ،فان سكان اوربا فى الوقت الحاضر لا يمتازون كثيراً عن قدماء المصريين والاغريق فى زيادة التمسك بالصدق والشرف والعفاف او غير ذلك من الفضائل ، وقد لا يضارعون أهل العصور القديمة والوسطى فى الفنون الجميلة ودقة الصناعات اليدوية والتعمق فى المباحث الفلسفية والدينية.

اما اذا كان المقصود بالمدنية تقدم العالم من الوجهة المادية وانتشار العلوم ومحاربة الفقر والجهل والمرض الخ ، فلامراء فى ان العالم منذ الثورة الصناعية قد تقدم فى هذه الناحية تقدماً سريعاً وعظيماً بز كل

ماسبقه فى جميع العصور . فانتشر التعليم العام فى الدول الصناعية ، وارتفع مستوى المعيشة فيها وتقدمت العلوم على اختلاف انواعها ، وتوافرت الحاجيات والكماليات وصارت فى متناول افقر الطبقات ، مما أدى الى زيادة الثقافة العامة والرفاهية ، وظهور التقدم الواضح فى جميع نواحى الحياة وفى جميع طبقات المجتمع ، بعد ان كان ذلك مقصوراً على طبقة الأغنياء والمتعلمين . ولا جرم ان هذا التفسير المادى المدنية هو الارجح، اذ أن عدم تقدم العالم تقدماً كبيراً من الوجهة الأدبية او الدينية يقابلة تقدم عظيم من الوجهة المادية والعلمية ، لذا اصبح اهم ما يميز الرجل المتمدين عن غيره كثرة حاجياته واتساع معلوماته ، وهى كلها من نتائج الثورة الصناعية.

٣- **تحسين مركز المرأة :** تتوقف علاقة المرأة بالرجل من حيث مبلغ المساواة بينهما فى الحقوق والواجبات على حالتها الاقتصادية قبل كل شئ ، فاذا كانت المرأة عاجزة عن الكسب او الاستقلال الاقتصادى كانت مضطرة الى الاعتماد على الرجل فى معيشتها ، وصارت ملزمة بأن تخضع له اجتماعياً كما تخضع له اقتصادياً ، ولذا امتنعت بينهما المساواة الحقيقية . ولا يفهم من ذلك الرجل يستند بالمرأة ويسئ اليها ، فقد اثبت التاريخ عظم نفوذ المرأة فى الاسرة وفى المجتمع والسياسة منذ أقدم العصور . غير أن النفوذ العظيم يختلف كثيراً عن المساواة الاجتماعية ، فان للطفل الصغير نفوذاً عظيماً فى اسرته ، وفى مقدورة اسعاد والديه او اشقائهم ، ومع انه لا يعتبر مساويا لهم فى الحقوق ، بدليل أنه يخضع لهم ويقع تخت رحمتهم فى كل امر . وماذلك الا انه كالمرأة يتخذ من ضعفه قوة ، ومن شدة تعلق والديه به وسيلة للسيطرة عليهما وتحقيق رغباته الكثيرة.

ويتبين من ذلك ان الرجل قد يخضع للمرأة بسبب شدة محبته لها اذا كانت والدته او زوجته ، ولكنه مع ذلك لا يعترف لها بالمساواة الحقيقية معه اذا كانت عاجزة عن ان تعيش منفصلة عنه ، وغير قادرة على كسب معاشها بنفسها . ولقد اتاحت الثورة الصناعية للمرأة فرصة لم يسبق لها أن عرفت مثلها من قبل ، وهى العمل فى المصانع والكسب المستقل عن الرجل ، فأخذت سبل العمل تتسع أمامها تدريجياً حتى صارت المرأة فى الوقت الحاضر منافساً خطيراً للرجل فى جميع ميادين العمل ، وكان ذلك سبباً فى سعادة الرجل وشقائه فى آن واحد ، نظراً لويادة دخل الأسرة وتقليل أعباء الرجل المالية من جهة ، ومن جهة أخرى لانتشاؤ البطالة بين الرجال وانحفاض أجورهم ، مع استمرار تحملهم مسئولية رعاية الأسرة وسداد حاجياتها.

ولا شك أن الأعمال الاقتصادية التى تقوم بها المرأة فى الدول الصناعية تختلف فى طبيعتها ونتائجها اختلافاً كبيراً عما تقوم به المرأة من مثل تلك الأعمال فى الدول الزراعية ، وذلك لأنها فى الحالة الأولى تعمل بأجر وتكون بعيدة عن افراد اسرتها. أما فى الحالة الثانية فانها تعمل فى الغالب كعضو فى الاسرة ، وتكون تحت اشراف والدها او زوجها ، ولا تحصل على اجر فى مقابل ماتقوم به من الأعمال.

وقد نشأ عن زيادة استقلال المرأة الاقتصادى فى انجلترا منذ قيام الثورة الصناعية ان اتسعت مداركها وصارت تحترم نفسها وتستحق احترام الرجل لها ، واصبح القانون معترفاً لها بالمساواة الفعلية مع الرجل من الوجهة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٤- **كثرة الاصلاحات الاجتماعية :** كان من نتائج قوة اتحاد العمال وانتشار التعليم العام وارتفاع مستوى المعيشة فى انجلترا عقبل

الثورة الصناعية ان عظم اهتمام الحكومات البريطانية على اختلاف احزابها ومشاربها بشئون الاصلاحات الاجتماعية ، حتى اصبح الفقير فى تلك البلاد ينال من الرعاية والمساعدة اكثر مما يناله فى اغلب الدول الأخرى ، صارت الأمة تعلمه وتعالج امراضه مجاناً ، وتشييد الملاجئ العديدة لايواء العجزة والمعوزين، وتمنح العاطلين والمسنين معاشات واعانات مالية ، وتنظيم بالقوانين العديدة علاقة العمال بأصحاب الأعمال لكى يمتنع الارهاث وتوظيف الاطفال والنساء فى الصناعة الا بشروط معينة . والخلاصة ان انجلترا نجحت فى تحقيق كثير من المبادئ الاشتراكية القائمة على المساواة بين الناس وتخفيف ويلات الفقير ومتاعبه ، مع أغلبية سكانها خلال القرن الماضى لم تعتنق تلك المبادئ من الوجهة النظرية . ولا يخفى ان الاصلاحات الاجتماعية تعود باكبر نصيب من القائدة على الطبقات الفقيرة فى حين ان الحكومة تصرف عليها من الضرائب التى تفرضها على الطبقات الغنية، وما ذلك سوى الاشتراكية العملية.

النتائج الاقتصادية :

١- **زيادة ثروة الدولة:** جنت انجلترا من جراء اسبقيتها فى الصناعة ثروة طائلة يصعب تقديرها وان كان من السهل الاستدلال عليها فى كل مظهر من مظاهر الحياة فى تلك البلاد . ولا يقصد بالثروة مجرد النقود المكدسة فى خزائن الحكومة والمصارف والافراد فحسب ، وانما تشمل ايضاً انواع الثروة الحقيقية التى تزيد فى اثمان البلاد ومقدرتها على الانتاج كالمصانع والمناجم والسفن والمرافئ وطرق المواصلات الممهدة الخ. ويكفى للدلالة على عظم ثروة انجلترا ان نقدها لم يتدهور ولم تعجز عن سداد ديونها كما فعلت بقية الدول . والجنية الانجليزى كان حتى سنة ١٩١٤ مضرب المثل فى ثباته وثقة الناس به ، ولذا ارتبطت

به عملات كثير من الدول ، كما كانت لندن عاصمة العالم المالية ، وانجلترا اكبر دول العالم الدائنة.

ونظراً لكثرة الارباح التى اغتنمتها انجلترا من صناعتها العديدة وتجارتها الواسعة ، كان من المتعذر توظيفها كلها فى داخل انجلترا ، ولذا اقبل الاغنياء فى تلك البلاد على توظيف اموالهم فى الخارج ، ولا سما فى الامبراطورية البريطانية وكثير من دول امريكا الجنوبية. ولهذا كان التقدم الاقتصادى الذى ظهر فى خلال القرن الماضى فى عدد كبير من الدول فائمة بمساعدة رؤوس الاموال البريطانية . وقد اكتسبت انجلترا من جراء ذلك مكاسب اقتصادية عظيمة ، ولم تعدم الانتفاع من ذلك سياسياً ايضاً كلما سمحت الظروف ، كما يتضح من دراسة تاريخ مصر الحديث ، خيث تحولت المشكلة المالية الى مشكلة سياسية لمصلح انجلترا ، لكونها أهم الدول الدائنة لمصر .

٢- **زيادة نفوذ رجال المال:** ينقسم اصحاب الثروات النقدية الكبيرة الى فريقين : فريق يوظف امواله فى الاعمال الاقتصادية المختلفة كانتاج السلع وتصريفها وتادية الخدمات المتعددة للمجتمع كوسائل النقل والفنادق الخ ، ويعرف هذا الفريق باسم اصحاب رؤوس الأموال وفريق اخر يتجر فى النقود على اعتبارها سلعة ، ولا يساهم فى الاعمال الاقتصادية بطريقة مباشرة ، واما يتخصص فى اقراض المشتغلين بها ما يحتاجون اليه من النقود ويسمى هذا الفريق باسم رجال المال او الممولين .

وقد أدت الثورة الصناعية الى زيادة نفوذ هذين الفريقين زيادة عظيمة ، ولكنها غير متساوية فى الحالتين ، اذ بينما اصبح أصحاب رؤوس الأموال مسيطرين سيطرة تامة على الصناعة والمشتغلين بها ،

لامتلاكهم اهم عناصر الانتاج الصناعى ، اذا بفريق رجال المال يسيطر على سياسة الدولة المالية وعلى اصحاب رؤوس الأموال انفسهم . وذلك لأن جميع الأعمال الاقتصادية الكبيرة تقوم على اساس الاقتراض ، ولأن نشاط الانتاج الصناعى ورواج التجارة الخارجية يتوقف قبل كل شئ على الثقة ، وعلى سهولة الاقتراض أو صعوبته ، وعلى مقار النقود المتداولة واسعار الفائدة الخ وليس بخاف أن ذلك كله يتوقف على سياسة رجال المال وميولهم ، وعلى المصارف الكبيرة التى تعمل لمصلحتهم وتقع تحت اشرافهم.

واذا اردنا زيادة الاستدلال على عظم نفوذ رجال المال فانه يكفى ان نذكر ان جميع حكومات العالم مدينة للمصارف الرئيسية ، سواء أكانت فى بلادها ام فى الخارج ، وان اعمال الحكومات والشركات الكبيرة لا يمكن اتمامها الا بمعاونة رجال المال وتعضيدهم ، وان الجرائد وغيرها من وسائل الدعاية المنظمة تقع فى الغالب تحت سيطرتهم . ومن ذلك يتضح ان رجال المال وان كانوا طبقة صغيرة فى المجتمع ، يسيطرون فى الحقيقة وبطريقة خفية على الحكومات والبرلمانات والشعوب ، بسبب سيطرتهم على النقود التى هى عصب الدولة والدم الذى يجرى فى عروقها.

ولا يمكن امكار ما اراده رجال المال من الخدمات الجليلة لانجلترا او لغيرها من دول العالم ، فان التقدم الاقتصادى العظيم الذى حدث فى القرن الماضى وعمت نتائجه الخطيرة فى جميع الأرجاء ، لم يتم إلا بمعاونتهم وبفضل الأموال التى تقدموا بها لتنفيذ المشروعات المفيدة والعديدة ، وبذا افادوا العالم كما استفادوا هم انفسهم فى وقت واحد . غير أن ذلك يعتبر دليلاً تاريخياً أخر على عظم نفوذ رجال المال ،

فضلاً عن الأدلة الكثيرة التى تلمسها فى الوقت الحاضر فى كل دولة كبيرة.

٣- احتدام الخلاف بين العمال واصحاب الاعمال والذى تظهر احياناً شروره المستطيرة كاضراب العمال ، وتختفى اخياناً الادلة عليه كالكفاح المستمر على مشكلة الأجور وساعات العمل ، يعتبر من أسوأ نتائج الثورة الصناعية وأعصاها خلا مع أنه لم يكن معروفاً من قبل . ففى عصر الانتاج اليدوي كان صاحب العمل كثيراً ما يشتغل بجانب عماله وكان على صلة مستمرة بهم ، ولذا فهم خاجاتهم وعقليتهم كل الفهم . ولا مشاحة فى انه يتعذر ظهور الخلاف واحتدامه بين الافراد إذا قربت الروابط الشخصية وحسن التفاهم بينهم.

أما بعد قيام الثورة الصناعية فقد انفصمت كل الروابط التى ربطت العمال بأصحاب العمال ، واصبح اغلب المساهمين فى الشكرات الصناعية غير متصلين من بعيد او قريب بالمشتغلين بالصناعة ، سواء اكانوا من رؤساء العمال أم من صغارهم ، ولهذا ظهر الخلاف الكبير بين مصالح العمال . فيرى الفريق الأول ان مصلحته تتطلب زيادة الارباح بكل الوسائل ، وفى طليعتها تخفيض اجور العمال وإطالة ساعات عملهم ، فى حين أن الفريق الثانى يرى عكس ذلك تماماً ولذا كان لا مفر من احتدام الخلاف بين هذين الفريقين ، وهو الخلاف الذى يزداد شدة بمرور الوقت كلما زاد احلال الالات محل العمال من جهة وكلما عظمت المنافسة على تصريف المصنوعات من جهة اخرى .

ولا ريب فى ان هذا الخلاف الذى لم تخل منه دولة صناعية فى العالم والذى يعتبر من النتائج المحتومة لنظام الصناعة كما نعرفه ، يعود بالضرر الكبير على جميع المشتغلين بالصناعة وعلى الأمة بأجمعها ،

لأنه إذا نجح اصحاب الأموال فى تنفيذ اغراضهم ، فان ذلك يؤدى الى تخفيض اجور العمال وارهاقهم ، كما يؤدى الى ضعف القوة الشرائية وقلة رواج التجارة ، فتقل مكاسب الصناعة تبعاً لذلك . أما إذا نجح العمال فى زيادة اجورهم وتخفيض ساعات عملهم فانهم بذلك يسببون ارتفاع اسعار المصنوعات وغلاء المعيشة ، ويحرمون انفسهم فى النهاية من الانتفاع من زيادة الاجور . و جرم انه اذا استمرت الاجور والأسعار فى التزايد المطرد ادى ذلك الى ازمة اقتصادية شديدة تجرف أمامها العمال واصحاب رؤوس الأموال فحسب ، وانما يضر العمال انفسهم ضرراً بليغاً بسبب حرمانهم من الاجور ، وقلة ما يملكون من الأموال المدخرة ، هذا فضلاً عما يلحقه من الضرر بالأمة بأكملها بسبب وقف الأعمال الاقتصادية وهياج الخواطر وانتشار الآراء الثورية التى تهدد السلم وتعرض المجتمع الى انقلابات خطيرة لا يعرف مداها إلا الله.

النتائج السياسية للثروة الصناعية :

١- **زيادة قوة الدولة:** لم يكن التقدم الصناعى الكبير الذة شهده العالم فى القرن الماضى مثصوراً على انتاج مختلف حاجيات الانسان وكمالياته فحسب ، بل شمل أيضاً انتاج المعدات الخربية التى تستخدم فى القضاء على الانسان ، ويظهر ذلك من عظم اختلاف الحربين العالميين الاخيرين عن جميع ما سبقهما من الحروب من حيث كثرة ضخاياهما وشدة فظاعتهما وقيامها فى البر والهواء والماس ، بل وتحت سطخ الماء ، وانتشار بلاتهما الى الجهات البعيدة عن ساحات القتال . وما ذلك إلا لكثرة المعدات الحربية وتنوعها وشدة فتكها ، ومقدرتها على التاثير فى مساحة واسعة والقضاء على عدد كبير من الناس فى وقت واحد . ولا ريب ان العالم قد هجر الى الابد وسائل

الحرب القديمة التى كان النجاح فيها متوقفاً على كثرة عدد المتحاربين وشجعاتهم وسرعة انتقالهم وحسن قيادتهم ، لأن الانسان قد اصبح قليل الاهمية فى الخرب كما فل الصناعة ، وصارت الخروب آلية وكيماوية قبل كل شئ ، كما أصبح الرجل الواحد المجهز بأخدث المعدات الخربية قادراً على التغلب على الاف الرجال إذا كانوا لا يملكون سوى قوة بنيتهم وشدة بسالتهم وعظم ايمانهم بعدالة قضيتهم.

وينجم عن ذلك أن قوة الدولة الحربية فى الوقت الحاضر لا تتوقف على عدد أبنائها وما يمتازوم بخ من الميزات الشخصية الفائقة بقدر توقفها على مبلغ تقدمها فى الصناعة ، لأن ذلك يضمن توفر المعدات الحربية لديها إبان الحرب . وهذا هو السبب فى ضعف الدول الزراعية جميعاً بأزاء الدول الصناعية ، وفى اختلاف قوة الدول الصناعية فيما بينها بحسب اختلاف درجة تفوق كل منها فى الصناعة، وفى اختلاف قوة الدول الصناعية ، وفى اختلاف قوة الدول الصناعية فيما بينها بحسب أختلاف درجة تفوق كل منها فى الصناعة . وليس بخاف ان الدول الزراعية تستطيع أن تملأ خزائنها بالمعدات الحربية فى وقت السلم ، ولكن ذلك لا يجديها نفعاً كبيراً بسبب سرعة تطور تلك المعدات من عام الى أخر ، بحيث يصبح ما تملكه منها غير واف بالغرض وقت الحاجة ، ولأنها تستنفد كل ما تملكه من تلك المعدات عند قيام الحرب ، وبعدئذ تصبح عاجزة عن اصلاحها او استبدالها بغيرها.

وقد شغلت انجلترا بسبب اسبقيتها فى الصناعة وتقدمها العظيم فى هذا الميدان مركزاً ممتازاً بين دول العالم منذ عصر نابليون ، واستطاعت أن تخافظ على امبراطوريتها الواسعة ، وان تزيد فى املاكها

اخيراً على خساب الامبراطورية الألمانية والعثمانية ، نظراً لسيطرتها البخرية التى كانت احسن الوسائل للدفاع عن نفسها ومحاربة اعدائها او محاصرتهم . ولعل ابلغ دليل على علاقة الصناعة بالقوة الحربية ماحدث بعد معركة (دنكرك) سنة ١٩٤٠ عندما انسحب الجيش البريطانى من فرنسا وترك وراءه جميع معداته الحربية ولكن بريطانيا استطاعت فى زمن قصير أن توجه مصانعها العديدة نحو انتاج المعدات الخربية بكميات عظيمة ، واستطاعت ان تمون قواتها المحاربة بكل ما احتاجت اليه من اسلحة ومعدات متنوعة .

٢- **زيادة تدعيم الديموقراطية:** كانت حكومة انجلترا قبل قيام الثورة الصناعية دستورية شكلاً واستبدادية فى الحقيقة ، نظراً لان السلطة كانت محتكرة فى ايدى الاشراف وكبار الملاك ، فكان البرلمان (مجلسا للواردات والعموم) لا يمثل سوى الاغنياء ولا يعنى الا بشئونهم . غير أن ما حدث فى اواخر القرن الثامن عشر من كثرة مهاجرة سكان الريف الى المدن ونقص اهمية الزراعة بالنسبة الى الصناعة ، وظهور قوة الرأى العام ، جعل من اللازم تعديل نظام الحكم فى البلاد تعديلاً جوهرياً وثم ذلك بطريقتين:

(أ) تعديل الدوائر الانتخابية تعديلاً تمشى مع ما حدث من تغيير كبير فى توزيع السكان ، فبعد ان كانت اغلبية اعضاء مجلس العموم ممثلة للأقاليم الزراعية ، صارت ممثلة للأقاليم الصماعية ، ولذا زادت أهمية تلك الأقاليم ونالت من الحكومة ما كانت اهلا له من العناية والمساعدة .

(ب) توسيع حق الانتخاب ، فاصبح اهم ما يشترط فى الناخب ان يكون بالغاً سن الرشد (٢١ سنة) ، والغيت جميع الشروط الخاصة بالثروة والتى حصرت حق الانتخاب فيما مضى فى طبقة صغيرة من الامة.

ولا تقتصر اهمية توسيع حق الانتخاب على انه يضمن قيام الحكم الميابى على اساس واسع من قوة الرأى العام ، وأن يكون البرلمان ممثلاً للأمة احسن تمثيل ، ولكنه يضمن ايضاً للطبقات الفقيرة والعاملة من اهتمام الحكومة ورعايتها نصيباً كبيراً يتناسب مع ما تملكه من قوة لتعضيد الحكومة او خذلانها فى الانتخابات العامة ، وبذا يكون ذلك الحق فى يد تلك الطبقات سلاحاً تهدد به الحكومة وتستخدمه وقت الحاجة للحصول على مطالبها .

وقد تمت تلك التعديلات الهامة فى سنة ١٨٣٢ عندما اصدرت الحكومة البريطانية قانون الاصلاح الدستورى لكي تتمكن من تهدئة الرأى العام الذى كان ساخطاً على نظام الحكم القائم وقتئذ . ولذا يصح اعتبار سنة ١٨٣٢ كمبدأ للحكم النيابى الحقيقى فى انجلترا ، وهو الحكم الذى بدأ رسمياً عندما حصل الأشراف على الوثيقة العظمة من الملك حنا سنة ١٢١٥ .

ونظراً لأن الأكثرية العظمى من سكان انجلترا تألفت من العمال القاطنين فى المدن الصناعية ، فقد نتج عن توسيع حق الانتخاب ان عنيت الحكومة بشئون العمال عناية كبيرة ، واقبلت على تنفيذ كثير من الاصلاحات الاجتماعية المقيدة ، كما زادت قوة حزب العمال حتى تمكن من الوصول الى مراكز الحكم ، وتأليف وزارة بين اعضاء لأول مرة سنة ١٩٢٤ .

٣- **زيادة قـوة الـراى العـام:** يتكون الراى العام بين الناس بطريقة خفية ، اذ أنه لا يقوم على تبادل الرأى بينهم بعد تمحيص وجهات النظر المتعددة ، وانما يتكون من تلقاء نفسه فيما يختص بالشئون العامة التى تمس مصالح الاكثرية . ففى حين أننا نجد الأحزاب السياسية مختلفة فيما بينها اختلافاً كبيراً فى كثير من الموضوعات ، اذ بها متفقة على بعض الشئون الجوهرية كالحرب والسلم ، وعلاقة الدولة بغيرها سياسياً او اقتصادياً . وقد يظهر الرأى العام احياناً بطريقة جلية مباشرة كالمظاهرات الشعبية والانتخابات العامة ، ولكنه يظهر فى الغلب بطريقة خفية وغير مباشرة وذلك بواسطة الجرائد السيارة . ولذا اعتبرت الجرائد لسان الراى العام ، لان من الطبيعي ان لا يقبل الانسان الا على الجرائد التى توافق مزاجة وتتفق مع ارائه ومبادئه . ولهذا كان مقدار رواج الجريدة بين الناس مقياساً صحيحاً لمقدار نجاحها فى التعبير عن الرأى العام ، وصارت اوسع الجرائد رواجاً اعظمها نفوذا واكثرها تعبيراً عن الراى العام .

ولا ريب فى ان ظهور الراى العام وقوته من اجل نتائج الثورة الصناعية ، لان ذلك يتحقق بواسطة كثرة اختلاط الناس فيما بينهم ، بواسطة الدعاية المنظمة التى اهم وسائلها الجرائد السيارة ، وكل ذلك من ثمرات الثورة الصناعية ، فلولا الصناعة الحديثة لما احتشد السكان فى المدن احتشاداً كبيراً ، و لما امكن ظهور الجرائد التى نعرفها اليوم والتى تعتمد فى طبعها وورقها واخبارها على خدمات العلم والصناعة الحديثة . ولا ننسى أن رخص اسعار الجرائد ، وهو سبب كثرة تداولها وعظم نفوذها ، يرجع قبل كل شئ الى كثرة ما تتكسبه من الاعلانات التى تنشرها ، وهذه ايضاً من نتائج الصناعة والتجارة الحديثة ، ولذا كانت

اغنى الجرائد فى الاعلانات اكبرها حجماً وارخصها ثمناً واكثرها تداولاً .

ولا تقتصر اهمية الجرائد على أنها لسان الرأى العام فحسب ، لأنها فى الحقيقة معلمة الرأة العام فى الوقت نفسه ، ولذا كانت قوة عظيمة فى الدولة واستحقت ان تلقب باسم "صاحب الجلالة الصحافة"، ففى مقدورها رفع الحكومات او اسقاطها ، وايقاد نار الحرب او اخمادها . وتعلل قوة الجرائد فى تكوين الرأى العام بأسباب كثيرة كتعود الناس على قراءتها يومياً ورخص أثمانها وكونها مطبوعة ، فان للكلمات المطبوعة أثراً فى النفوس يفوق كثيراً الكلمات المكتوبة او المسموعة ، ولأن قوة النقد والتفكير المستقل من أضعف القوى العقلية عند أكثر الناس . ولذا تستطيع الجرائد ان توجه الراى العام كيفما تريد ، مادامت تفعل ذلك تدريجياً وتتحاشى ان تصدم الرأى العام صدمة شديدة.

ويستنبط من ذلك أن الرى العام الذى يعتبر بحق أهم عماد لنظام الحكم النيابى ، هو من نتائج الثورة الصناعية ، ولذا كان اكثر ظهوراً فى المدن منه فى الريف ، وبين المتعلمين منه بين غيرهم ، كما انه اقوى نفوذا واوضح اثراً فى الدول الصناعية منه فى الدول الزراعية. ولعل هذا احد اسباب ضعف الدول الزراعية بازاء الدول الصناعية، وعدم نجاح الحكم النيابى فى الاولى بقدر نجاحه فى الثانية.

٤- تعديل اتجاه السياسة الداخلية والخارجية:

لم تكن نتائج قانون الاصلاح الدستورى فى انجلترا مقصورة على تعديل نظام الحكم فى البلاد فحسب ، بل شملت ايضاً تعديل سياسة الدولة

الخارجية والخارجية ، فاصبح الغرض الأول منهما خدمة مصالح سكان المدن بكل الوسائل . فاما السياسة الداخلية فقد اتجهت الى نشر الاصلاحات الاجتماعية التى تعود بالفائدة على سكان المدن قبل غيرهم ، كتحسين المساكن والمواصلات والصحة العامة ، وتنظيم علاقة العامل بصاحب العمل وانشاء الملاجئ والمستشفيات واعانة العاطلين والعجزة ، وكذلك خدمة الصناعة والمشتغلين بها بتخفيض نفقات المعيشة فى المدن ، وان ادى ذلك الى اضمحلال الزراعة وسوء حالة سكان الريف . ولذا كان الغاء قوانين القمح سنة ١٨٤٦ من النتائج المنطقية لقانون الاصلاح الدستورى الذى صدر سنة ١٨٣٢ ونظراً لان نسبة سكان المدن الى سكان الريف فى انجلترا بلغت فى اواخر القرن الماضى نسبة ١٠ : ١ كان من الصواب اعتبار تلك النسبة مقياساً لاهتمام الحكومة ولما تصدره من التشريع سنوياً فيما يختص بسكان المدن وسكان الريف فى البلاد.

أما من وجهة السياسة الخارجية فقد أصبح غرضها الأول تشجيع تجارة انجلترا الخارجية بالاستعمار او عقد المعاهدات التجارية او الصحول على امتيازات اقتصادية ، وصارت علاقة انجلترا السياسية بأية دولة اخرى قائمة على مقدار مساعدة تلك الدول او معاكستها للتجارة البريطانية . ومن ذلك تفهم ماحدث من التغير الكلى فى علاقة انجلترا السياسية بألمانيا وفرنسا فى الأزمنة الحديثة ، فقد كانت انجلترا العدوة التاريخية لفرنسا منذ القرن السابع عشر ، فى حين أنها كانت صديقة ألمانيا فى ذلك الوقت لما بينهما من تشابه فى الجنس والثقافة وارتباط الأسرات المالكة . ولكنها مع ذلك أخذت فى الميل نحو فرنسا والابتعاد عن المانيا منذ نجاح الثورة الصناعية فى الدولة الأخيرة ، بعد ان

اصبحت المانيا منذ سنة ١٨٩٠ منافساً خطيراً لتجارة انجلترا وقوتها . ولذا انضمت انجلترا الى جانب فرنسا ضد المانيا فى الخربين العالميين الأخيرين لأنها لم تخش بأس فرنسا تجارياً ، ولكنها رأت فى انتصار المانيا كارثة وطنية عليها من الوجهة السياسية والاقتصادية.

وكذلك كانت انجلترا اسبق الدول الأوربية الى التحالف مع اليابان ومصادقتها فى اوائل القرن الحالى ، ولكنها نقضت محالفتها مع تلك الدولة سنة ١٩٢٠ واخذت فى اتباع الحيطة فى معاملتها بعد ان ظهرت اليابان كدولة صناعية كبيرة ، وصارت منافساً خطيراً لانجلترا فى أسواق العالم لاسيما أسواق الشوق.

تطور الصناعة بعد سنة ١٨٢٥ :

تعتبر سنة ١٨٢٥ حداً فاصلاً بين عصر الانقلاب الصناعى الخطير الذى عانته انجلترا منذ منتصف القرن الثامن عشر ، وعصر الاستقرار والتقدم الاقتصادى العظيم الذى نعمت به البلاد بعد ذلك . وقد اتجه مجهود انجلترا الصناعة بعد سنة ١٨٢٥ الى الوجوه الاربعة الآتية:

١- التوسع العظيم فى الصناعة وانتاجها بسبب ثروةانجلترا العظيمة فى المعادن لا سيما الفحم ، اذ تكثر فيها حقول الفحم ويقع اغلبها على مقربة من السواحل ومجارى الانهار ، مما يسهل نقل الفحم الى جميع مراكز الصناعة والى المدن الكبيرة . ويظهر عظم تقدم الصناعة وكثرة انتاجها فى ذلك العصر من الزيادة الهائلة فى انتاج الفحم والحديد فى انجلترا فى خلال القرن التاسع عشر ، ويتبين ذلك من الجدول الآتى:

السنة	الفحم	الحديد
	طن	طن
١٨٠٠	١٠.٠٠٠.٠٠٠	٠.٥٠٠.٠٠٠
١٨٥٠	٤٩.٠٠٠.٠٠٠	٥.٥٠٠.٠٠٠
١٨٨٠	١٤٧.٠٠٠.٠٠٠	١٨.٠٠٠.٠٠٠
١٨٩٦	١٩٥.٠٠٠.٠٠٠	٨.٥٠٠.٠٠٠
١٩٠٠	٢٢٥.٠٠٠.٠٠٠	١٢.٥٠٠.٠٠٠
١٩١٣	٢٨٧.٠٠٠.٠٠٠	١٠.٥٠٠.٠٠٠

ويلاحظ أن انجلترا لم تكن تستهلك كل ما انتجته من الفحم ، بدليل أنها كانت اكثر دول العالم تصديراً لهذه السلعة . وقد جنت انجلترا فوائد عديدة من جراء كثرة تصديرها لاية سلعة مطلوبة فى اغلب الأسواق، ولذا استطاعت السفن البريطانية التى جاءت الى انجلترا محملة بالخامات الزراعية الكبيرة الحجم ، أن تكمل حمولتها بالفحم عند عودتها من انجلترا، نظراً لأن المصنوعات التى تصدرها انجلترا ليسن كبيرة الحجم وان كانت كبيرة الثمن .

وبذا اصبحت السفن البريطانية كثيرة الحمولة ذهاباً وايابا ، واستطاعت ان تخفض اجورها وتزيد ارباحها فى آن واحد ، وبذلك تغلبت على منافسة السفن التجارية الأخرى . ولا غرو أن انجلترا اكتسبت كثيراً من المغانم بسبب انتشار تجارتها الخارجية وكثرة سفنها التجارية وتفوقها.

وقد كان التوسع الصناعى اظهر مايمكن فى صناعة المنسوجات والصناعات المعدنية ، فزاد انتاج المنسوجات اربع امثال ماكان عليه

خلال عصر الملكة فكتوريا (١٨٣٧ – ١٩٠١) واستهلكت انجلترا فى اواخر ذلك العصر ربع ما انتجه العالم من مواد النسيج . وعلى الرغم من ظهور امريكا وألمانيا وغيرها من الدول فى ميدان المنافسة لانجلترا فيما بين سنة ١٧٧٠ وسنة ١٩٠٠ فان منسوجات انجلترا القطنية زادت فى تلك الفترة ٤٠% ، وزادت منسوجاتها الصوفية ١٠٥% ، واستطاعت مصانع نسيج القطن فى اواخر القرن الماضى ان تنتج يومياً نحو ١٤.٠٠٠ ميل من تلك المنسوجات ، وان تصدر منها نحو الثلثين الى الخارج . وفى سنة ١٩١٣ كان عدد أنوال نسيج القطن بانجلترا نحو ٥٧.٠٠٠.٠٠٠ نولا ، فى حين ان عددها فى جميع الدول الأوربية الأخرى لم يزد على نحو ٣٢.٠٠٠.٠٠٠ نولاً.

ولم يكن تقدم صناعة المنسوجات الصوفية اقل خطراً من تقدم صناعة المنسوجات القطنية ، فقد زاد مقدار الصوف المستخدم فى المصانع البريطانية نحو الضعف من سنة ١٨٠٠ الى سنة ١٨٤٠ ، ولكنه زاد نحو خمسة الأمثال فيما بين سنة ١٨٤٠ وسنة ١٩٠٠ ، ويعزى ذلك الى ما حدث من التغيير العظيم فى الموارد العالمية الخام وفى اسعاره منذ منتصف القرن الماضى ، بسبب التوسع فى تربية الأغنام فى استراليا وغيرها من البلاد النائية . وتظهر اهمية ذلك من أن جل الصوف المستخدم فى صناعة انجلترا فى النصف الأول من القرن التاسع عشر كان من الانتاج المحلى ، اما فى سنة ١٩١٤ فكانت اربعة اخماسة واردة من استراليا.

٢- زيادة التخصص فى الصناعة وفى وسائلها:

لأن المخترعات استمرت فى تعديل الآلات القديمة بغرض زيادة انتاجها

وتحسينه ، واقتضى ذلك تخصص كل من تلك الآلات في ناحية صغيرة من نواحى الصناعة ، نظراً لأن التخصص من اهم لوازم التقدم، وقد بلغ تخصص وسائل الصناعة درجة عظيمة بحيث ان آلات نسيج القطن المصرى مثلاً لا تصلح لنسيج غيره من الاقطان، على الرغم من دقة وجوه الاختلاف بين انواع القطن المتعددة .

ولم يكن ذلك التخصص مقصوراً على الآلات بل شمل المصانع نفسها والأقاليم الصناعية ايضاً . ولذا تستورد انجلترا كما تصدر كثيراً من السلع نصف المصنوعة ، اى التى ليست معدة للجمهور وانما تشتريها المصانع لاعدادها لذلك ، فصارت السلعة الواحدة تمر على عدد كبير من الصناع والآلات والمصانع قبل أن تصل الى يد المشترى .

وقد تركزت الصناعات المختلفة فى مناطق معينة فى بريطانيا العظمى وصارت من اهم مميزاتها ، فتقوم صناعة المنسوجات القطنية فى جنوبى مقاطعة لانكشير لا سيما حول مدينة منشستر حيث تتوافر الشروط الملائمة لتلك الصناعة كرطوبة الهواء وكثرة الفحم والقرب من اكبر موارد القطن فى العالم وهى الولايات المتحدة ، وتقوم صناعة المنسوجات الصوفية فى شرقى لانكشير ويشتهر ذلك الاقليم الاخير باسم (West riding) . وتقوم الصناعات المعدنية حول برمنجهام وفى السهل الشمالى الأوسط من انجلترا المعروف باسم الاقليم الأسود بسبب كثرة ماتخرجه مصانعه من الدخان الكثيف.

على ان الصناعات المعدنية اقل تركزاً من بقية الصناعات بدليل قيامها فى مناطق النسيج ، اذ تقع سيفلد الشهيرة بصناعة الاسلحة فى مقاطعة

يور كشير . وكذلك قامت صناعة بناء السفن فى الموانى الكبيرة الواقعة على مقربة من حقول الفحم مثل لفربول وجلاسجو.

٣- **زيادة انتشار التجارة الخارجية:** بسبب خلو الأسواق من المنافسة الجدية ، وتحسن طرق المواصلات الى الاقاليم النائية ، وهبوط أسعار المصنوعات البريطانية تدريجياً وزيادة رواجها فى الاسواق الكثيرة الاستهلاك وأهمها أسواق الشرق . ولا ريب فى ان زيادة رواج التجارة الخارجية كان من اهم لوازم تقدم الصناعة البريطانية لانه ضمن لها الحصول على المواد الخام الكثيرة ، وتصريف المصنوعات التى اخذت البلاد فى انتاجها بمقادير متزايدة، ولولا ذلك لعجزت الصناعة عن التقدم مهما توافرت الظروف الاخرى الملائمة لها . وكان لظهور السكك الحديدية والبواخر وتقدمها اعظم اثر فى نشر تجارة انجلترا الخارجية ، لأن انجلترا تمكنت من الاستفادة من ذلك بسبب توسعها فى الانتاج الصناعى ونزوعها الى كثرة التخصص فيه ، وتبع ذلك هبوط اسعار مصنوعاتها ورواجها .

٤- **محاولة انجلترا التغلب على المنافسة الاجنبية:** تقدمت الصناعة فى المانيا والولايات المتحدة وغيرها من الدول منذ أواخر القرن الماضى ، وقد بذلت تلك الاسواق مجهوداً فائقاً للحاق بانجلترا فى تقدمها الصناعى وانتزاع الأسواق منها ، وتمسكت فى سنوات قليلة من ان تبلغ ما بلغته انجلترا من النجاح فى كثير من نواحى الصناعة ، ويعلل ذلك بأنها لم تكتف بالاقتداء بانجلترا بل ابتكرت كثيراً من الأساليب الجديدة لمنافسة التجارة البريطانية ولم تفطن انجلترا الى ذلك الا اخيراً وعندئذ عملت على الاقتداء بدورها. بالدول المنافسة لها . ولاريب فى ان النجاح السهل الذى خصلت عليه انجلترا

فى ميدان الصناعة والتجارة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر أدى الى اعتزازها بنفسها وقلة اكترائها بالدول المنافسة لها ، على زعم ان النجاح مكتوب لها دون حاجة الى بذل مجهود كبير للمحافظة عليه ، ولذا وقعت صناعة انجلترا وتجارتها فى اغلاط كثيرة اهمها ما يأتى :

(أ) **قلة العناية بالاعلان:** اعتماداً على السمعة الحسنة التى تمتعت بها المصنوعات البريطانية فى جميع الاسواق ، ولأن الاعلان يتكلف مصاريف طائلة ولا يتفق مع كرامة الصناعات الراقية، بدليل ام اكثر المصنوعات حاجة اليه هى الحديثة منها اى التى يهمها التغرير بالجمهور وصرفه عن شراء المصنوعات الجيدة . وقد استمرت المصنوعات البريطانية زمناً طويلاً معتمدة على ارخص انواع الاعلان واجدره بالثقة ، اى الاعلان المتكلم الذى يقوم على رضاء المشترين ومديحهم ، بعكس الدول الصناعية الاخرى التى عمدت الى التفنن فى الاعلان والتوسع فيه حتى راجت تجارتها على حساب التجارة البريطانية ، ولا جرم ان انجلترا وان اصابت من الوجهة النظرية فى تقديرها للاعلان واهميته ، اخطأت من الوجهة العملية فى فهم عقلية الجماهير ، فقد اثبتت التجارب ان الاعلان من الزم لوازم النجاح فى التجارة، وانه يبرر كل ما يصرف فى سبيله من نفقات عظيمة ، اذ لا تكفى جودة السلعة او رخصها لكى تنال ما تستحقة من الرواج ، بل يجب الاعلان عنها لتحقيق ذلك .

(ب) قلة العناية بمرضاة المشترين ودراسة اذواقهم وحاجاتهم الخاصة. ولذا اشتهرت الصناعة البريطانية بالجمود والمحافظة على التقاليد ، بمعنى أنها إذا لم تلق رواجاً فى بعض الاسواق بسبب عدم ملائمة

ألوانها او اشكالها واحجامها ، كانت المصانع قليلة الميل الى تعديل ذلك لمرضاة المشترين فى تلك الاسواق . ولذا افقدت مصنوعات انجلترا تلك الاسواق تدريجياً ، وحلت محلها مصنوعات الدول الاخرى حتى لم تتردد فى بذل كل مجهود لاكتساب المشترين وارضائهم .

وكذلك كانت انجلترا اقل عناية من الدول الاخرى بامر الاكثار من الوكلاء عن مصنوعاتها فى الاسواق المختلفة ، او تشهيل وسائل سداد اثمان المشتروات ، الى غير ذلك من الخدمات وانواع التشجيع للمشترين ، ويرجع كل ذلك الى شدة اعتداد الصناعة البريطانية بنفسها ، وعدم اكترائها باغراض بعض المشترين عنها لوثوقها من الرواج بقية الأسواق .

(ج) غلاء اثمان المصنوعات البريطانية بسبب جودتها ومتانتها بوجه عام فان من مبادئ الصناعة البريطانية العناية بجودة الانتاج وان ادى ذلك الى ارتفاع الاثمان ، فى حين ان الدول الصناعية المنافسة لانجلترا جعلت من مبادئها تخفيض الأثمان وان أدى ذلك الى عدم جودة المصنوعات.

وبذا دلت تلك الدول على بعد نظرها وحسن تقديرها لعقلية الجمهور وظروفه ، فقد تكون المصنوعات البريطانيةى رخيصة فى الحقيقة على الرغم من غلاء ثمنها ولكن ذلك لا يجدى نفعاً عند اكثرية المشترين وهم من

الفقراء الذين يفضلون شراء السلع الرخيصة وحسنة المظهر ، وان كانت تلك السلع لا تستحق الثمن المنخفض الذى تباع به .

ولا ريب فى انجلترا فقدت كثيراً من الاسواق بسبب الاغلاط السابقة التى وقعت فيها ، ومع ذلك فان تفوقها الصناعى والتجارى لم يتعرض لخطر جدى لاسباب كثيرة ، كعملها على اصلاح تلك الاغلاط ، واتساع تجارة العالم اجمع ، وارتفاع الأجور وزيادة القوة الشرائية فى اغلب الدول ولذا كان اكبر اثر للمنافسة الاجنبية التى تعرضت لها انجلترا منذ اواخر القرن الماضى تقليل مدى تقدمها الصناعى وتفوقها التجارى بدلا من القضاء عليه .